

ساعة راحة

استلقت « سنية » تتقيل بعد ما أصابته من غداء دسم ،
واستوى زوجها على مقعده الوثير وقد تحرر من رباط الرقبة ،
واستبدل بحدائه خف البيت المريح ، وما إن اطمأن في مجلسه
على المقعد الرحيب ، حتى حانت منه التفاتة إلى جريدته ،
فنشرها بين يديه ، وأخذ ينقل نظراته بين سطورها يتلقط الأنباء ،
فاتر المهمة ، متخاذل الأوصال ، وقد تدلت من فمه لفافة تبغ
يتشكل دخانها دوائر وحلقات .

وأظل الزوجين صمت موصول ، وكلما قلب « عزيز »
صحائف الجريدة خشخشت تشوب رونق السكون .

وكانت أسجاف النوافذ مسدلة تحجب وهج النهار ،
فأضفت على الحجرة جواً من رخاوة وهدوء ، وغازل عينيه
طائف الكرى ، فما عثم أن استجاب له في رضا واستسلام .

ومضت الدقائق يأخذ بعضها بتلابيب بعض ، فتجمعت في
حساب الزمن ساعة ، وما انفك الزوج غائباً عن العالم المحسوس

ينبعث منه غطيط ملحوظ .

وتتابعت حشرجة الزوج تحاصر مخدع الزوجة ، وتنفر عنها للذيد النعاس ، فاعتدلت تبصر زوجها ما فئ على كرسيه ممدداً ، والجريدة تتدلى من يديه حتى تلامس الأرض ، وخصلة شعره تتشعث على جبهته ، وفمه منفرج عن ذلك الغطيط المسموع ، فاستشعرت بعض الضيق ، وجمالت نظراتها في عرض الحجرة على غير هدف كأنما تتلمس في أثائها مسلاة تعينها على قتل الوقت ، ريثما يستيقظ رفيقها النثوم ، لتعاود معه الحياة .

وأولت وجهها سقف الحجرة ، فما وقعت عليه عيناها ، حتى تشبثت به لا تقوى أن تزور عنه ، كأنه يشع تياراً كهربياً يجذب إليه البصر .

وكان من المألوف لديها ، أنها إذا علق نظرها بالسقف استبد بها سهوم يدينها من عالم الأحلام . وسنحت لها فكرة ، فكرة لطيفه شائقة ، فلم تطق أن تتركها في تلافيف رأسها الفضى ، فتحنحت مرات تقطع على زوجها نومته ، فاضطربت أوصاله يتنبه ، وما هي إلا أن فتح عينيه ، وأطلق تشاؤبة كبيرة وهو يهمهم :

أنت يقضى . . . ماذا فى الأمر ؟

فقالت له الزوجة تداعبه وتزجى ضحكة لينة عابثة :
هبطت على فكرة . . . أقسم لك إنها لا تخلو من طرافة..
إن سقتها إليك سررت بها لا ريب . . . ستتيح لنا فرصة هـو
ومؤانسة . . . سأحدثك :

— تحدثنى ؟

— أمامنا متسع من الوقت ، ولم تحن بعد ساعة الخروج . . .
ففرك الزوج عينيه فى دهشة ، وحملق فى زوجته يتبين
تلك الفكرة التى طرأت على غير موعد ، فقطعت عليه فترة
الدعة والاستجمام . . .

وتهيات الزوجة للكلام ، وإذا هى تقول :
ماذا يا « سوسو » أما زلت نائماً . . . ألا ترعيني سمعك ؟
وهز الرجل كتفيه حانقاً ، وأقبل على نفسه يللم ما تبعثر
من شأنه ، فنحى الجريدة عنه ، وعمد إلى خصلة شعره النافر
يسويها ، ليستمرئ تلك الفكرة الطريفة التى هبطت من السماء
على زوجته ، لتنصب على رأسه شقوة ونقمة . . .

وسارعت الزوجة تكاشف رجلها بذات نفسها فى تحمس ،
وهى تستجمع على السرير ، وتعتمد ذقنها بإحدى ركبتيها ،

وعيناها يتألاً فيهما دهاء :

هب أننا لم نكن متعارفين ، وهيات لنا المصادفة أن
نجتمع . . . فالتقينا . . . أين يا ترى ؟ . . .

ودارت « سنية » برأسها تفتش عن عش لائق ، وبعد لأي
خرجت من صمتها تقول :

وجدته . . . دار الخيالة . . . اكتشفتني أنت وأنا أبتاع
تذكرتي لمشاهدة العرض . . . كنت تليني في الصف عند
الشباك . . . فتنتك وسامتي وهمت بي أشد هيام . . . تعمدت
أن تظفر بالمقعد الملاصق لمقعدى . . . تحققت لك الأمنية
فجلست بجانبى . . . هذا هو الافتراض . . . ساذج بسيط
كما ترى . . .

وتحمل الزوج يزجى بكلمة ، لكنها تابعت تقول :
يحق لى أن أسألك إذن ماذا كنت فاعلاً . . . أتحاول
ملاطفتي والتودد إلى . . . ؟ أتقبل على " مطمناً في إطارى مشيداً
بطلاوتى . . . ؟ أتتحين الفرص للملامسة يدي تبتغى بها الوسيلة
إلى مجاذبة الحديث . . . فإن زجرتك تصنعت الأسف ،
وأطلقت لسانك بكلمات استعفاء . . . أكنت واجداً نفسك
مسوقاً تختلس إلى النظر تشفى به قلبك الوهان ؟ . . . بماذا

تجيبى . . . ؟ تمن . . . كل كلمة تتفوه بها لا ريب
محسوبة عليك . . .

واستمع « عزيز » إلى زوجته وهو يتميز من الغيظ ،
فأطلقت « سنية » ضحكة طائشة ، وغمغمت :
. . . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان !
وشفعت قولها بابتسامة ساخرة .

وأطبق عليهما الصمت ، وانصرف الزوج يحك رأسه بأناملته
يفكر فى إجابة لا تأخذها عليه زوجه ، فتعكر بها صفو يومه .
وأحد الرجل فطنته ، غير أنه ألغى نفسه صامتاً لا ينبس ،
فنهضت إليه زوجه فى غلائلها التى تشف عن جسدها البض
وعودها المشيق ، فأطال إليها النظر يتملاها وعيناه تفيضان
بالأحلام .

وأدركت الزوجة ذلك منه ، فرفعت صوتها تقول والبشر
يتوضح على محياها :

ستحاول حتماً مغازلتى . . . ستسر إلى بكلمات المديح
والإطراء . . . ستتحين فرصة انكماش النور لتلمس يدى . . .
ستتصرف مثل أترابك ولداتك . . . واهاً منكم معشر الرجال .
وأمسكت هنيهة تجتذب أنفاسها . . .

حقاً إنه لرجل مثل سائر الرجال . . .

ماذا يعصمه . . . ؟

لن يكون إلا كذلك ينساق في مغازلة رخيصة ، لا يحجم ولا يحتشم .

واستبد بها هذا التفكير الحائر ، وانقلب زوجها هذا الرجل الكريم في عينيها عابثاً ماجناً غير مستقيم ، وشاعت على وجهها مسحة من كآبة واغتمام . . .

واستبان الزوج ما تعانيه « سنية » من هيجة وقلق ، فأقبل عليها يبغى كلاماً ، ولكنها صرخت :

دعني أتم لك حديثي لم تكن تفوتني خفية نفسك ومكنون حيلتك . . . عهدتك ونمحن في الطريق أو في محفل جامع تقلب النظر في الأوانس الكاعبات تكاد تبتلعهن بنظراتك العطشى ، ولسان حالك يقول : حرام أن يغلوا رقبتى برباط الزواج مبكراً . . . وكم مرة يطالعي وجهك وقد شاعت فيه أمارات غم وتحسر . . .

وأراد الرجل أن يخرج من صمته ، وقد ضاق ذرعاً بذلك الافتراء الأثيم .

أليس من حقه أن ينفي ما يرمى به من نعوت ؟

لا . . . إنك لا تملك لنفسك حقاً !

واعتدل الرجل في جلسته يشعل لفافة تبغ ، وكان ينفخ
دخانها في ضيق ، على نحو مثير .

فألفت « سنية » نفسها منساقة تتطلع إلى الدخان المتطاير ،
وجمجت في غيظ :

نعم . . . أنت تشعل لفافتك لتخفى ما أنت فيه من حيرة
وارتيباك . . .

فأشاح الرجل بيده ، وهو يغط شفته علامة النفي ،
فسمعها تهتهم :

إني على حق . . . كل الرجال خونة . . . خونة . . .
أسمع أنت ؟

وصدفت عنه « سنية » تلوذ بركن قصي وهي تبرطم ، وقد
استبد بها نشيج تقطعه تلك العبارة :

لا تحسبني أغار . . . فهذا آخر ما يخطر لي على بال !
وماذا عليه إن كان عابثاً ؟ . . . ألم يكن يومئذ مثل هذا
الهواء طليقاً لا إمرة لأحد عليه ولا سلطان . . . ؟

وأين هو من الخيانة . . . ؟ ألم تفترض في معرض الحديث
أنه أعزب ليس في حياته امرأة توجب عليه حقاً يرعاه . . . ؟

يا للنساء . . . !

عليه معالجة الأمر ، عليه أن يرضاها وأن يستغفرها من
ذنب لم يقترفه .

وهب الزوج يترك مقعده ، وسار إلى زوجته يشيع على
محياء اضطراب وأسف ، وحاول أن يحنو عليها ويحتويها في
صدره ، فأزاحته عنها في حركة تم عن التأفف والاستنكار .

ولكنه هبط على أذنها في ملاينة وتلطف قائلاً :

هبي أن ذلك وقع لك ولى ، ألسنت تسعين بأن زوجك
أعجب بك قبل أن تصل بينكما عقدة الزواج ؟

فردت عليه فى جفاء ، وما فتئت توليه ظهرها ، شامخة
الأنف :

وهل كنا زوجين . . . ؟

فقاطعها يقول محاولاً الإقناع :

لقد أصبحنا زوجين !

فأقبلت عليه توليه وجهها وما برحت شرقة بالدمع :

لم تكن تزوجتنى بعد !

— ماذا يهم ، وأنت نفسك فى الحالين بيت القصيد ؟

وتاعثمت الزوجة ، فأردف يقول :

ألم يدلك كل ذلك على قوة إعجابى بك وحبى إياك ؟
 وجنحت « سنية » إلى المسالمة ، فجذبها إليه ، فطاوعته ،
 وتمتم فى صوت خافت وهو يحتويها بين ذراعيه :
 ما زلت هائماً بك يا « سنية » ملكت قلبى ...
 أحبك

فقال له فى تخلع ودلال ، وهى تجتذب منديلها من جيب
 سترته ، تجفف ما تالاً على خديها من دموع :
 ماذا تقول ؟

أحبك أحبك

وتهد الزوج تهدة مديدة ، فأقبلت الزوجة عليه ، عينها
 متناومة ، وفمها يتودد ، فهوى عليها فى قبلة محتمدة ، وعناق
 جياش !